

الكنز المدفون

قصة للفتيان

زياد غزال فريجات

بسم الله الرحمن الرحيم

يحكى أن رجلاً صالحاً قضى عمره يجوب الآفاق لنشر تعاليم الإسلام ، وفي إحدى رحلاته وجد كنوز قارون فخاف أن يفتنه المال فعاهد الله على إنفاق الكنوز في نشر تعاليم القرآن وحفظه ، وأخذ يدفن في كل بلد يذهب إليه جزءاً من الكنوز حتى واراها التراب ولم يبق منها إلا القليل .. وفي إحدى الأيام جهز الرجل الصالح متاعه لرحلة في أحد المحيطات .. وعندما يأتي في خاطره المحيط يحس بالخوف من غدره وغطرسة أمواجه ، فخشى من الغرق وأن يغرق معه سر الكنوز ، فجمع أولاده الثلاثة محمد وياسين وطه وكشف عن صدورهم التي تتلأأ صفاً وأخذ قضيباً من الحديد المتوهج احمراراً ورسم على صدور الأبناء معاً خارطة للبلاد التي دفن بها الكنوز ومواقع الكنوز وترك لأبنائه وصية يقول فيها :

*:- لقد رسمت على صدوركم خارطة للبلاد التي نشرت فيها دين الله وتعاليم القرآن والمواقع التي دفنت بها كنوز قارون ، وعاهدت الله أن أنفقاها في نشر القرآن وحفظه ، أتدرون لماذا الحفظ ؟ فالحفظ يبني الحب والمودة للآيات ، فإن حفظتم القرآن معاً فإنكم سوف ترون مواقع الكنوز ، وإن رأيتموها فأنفقوها على ما عاهدت الله عليه ، وإذا نسيتم

جزءاً من القرآن فإن أعداءكم وأعداء دينكم سوف يرون مواقع الكنوز ،
ويستخرجوها وتنفق ضدكم و ضد دينكم .

أبنائي الأعزاء :

على صدوركم ثروة أمة فيجب أن يكون داخل هذه الصدور
كتاب ربكم ، فإن حفظتموه فقد أصبح بينكم وبين آياته حب كبير
ومودة غامرة و أصبحتم أسياداً ، وإن نسيتموه أصبحتم عبيداً رخيصي
الثلث .. مع دعائي المستمر لكم بالصون والساداد .

وارتحل الأب تاركاً وصيته ، وخاض عباب المحيط فهاجت
الأمواج وثارَت العواصف واستسلمت السفينة لعتو العواصف والأمواج
فتحطمت وأخذت الأمواج تتقاذف الرجل الصالح وهو يقرأ القرآن حتى
خرجت منه روحه الطاهرة .

هدأت الأمواج وسكنت العواصف والرجل الصالح مسجى مأدبة
للحيتان ، ولم تتركه وإلا هو في بطونها .

ولكن وصيته بقيت وأبناؤه باقون ، محمد في الثامنة من عمره
وياسين في السابعة وطه في السادسة والكنوز ما زالت مدفونة والأبناء ما
زالوا صغاراً ، وبعد سنوات من وفاة الأب ، تُوفيت أمهم واضطر الفتیان
الثلاثة للانتقال إلى ملجأ للأيتام ، وخلال ما هم في الملجأ علم رجل

عجوز من الأعداء بقصة الكنوز والخارطة المرسومة على صدورهم ،
فاجتمع مع ابنه الأكبر الذي يسمى الحوت وقال له :

*- : لقد جئت بك لأمر عظيم يا ولدي .

الحوت : خيراً يا والدي .

العجوز : بل شر عظيم. نار تستعر تحت الرماد ، سنصلى بناها
إن نبتت بين غاباتنا .. سيخرج من وهج النار نور يبدد ظلام كهوفنا
ويخطف أبصارنا .

الحوت - : وأين هذه النار ؟

العجوز : على صدور فتية أيتام خارطة تضم مواقع كنوز قارون ،
فإن حفظوا القرآن فسوف يرون مواقعها ثم يستخرجونها وينفقونها على
بناء مجد دينهم ، وهذا يعني هدم صروح مجدنا .

الحوت - : وما هو دوري ؟

العجوز : ستمثل أنكم أبوهم ..

سام : كيف ذلك وهم أيتام ؟

العجوز : هذا أمر بسيط ، لكن الأهم تنسيهم ما حفظوه من القرآن .. وبذلك نرى مواقع الكنوز ونصبح أسياد الأرض .. الأيتام الثلاثة أخوة أكبرهم محمد يحفظ عشرة أجزاء .. وهو الآن في الصف السابع ، والأوسط ياسين يحفظ ستة أجزاء وهو في الصف السادس ، والأصغر طه يحفظ أربعة أجزاء وهو في الصف الخامس ، والآن احفظ ما سأقوله لتنفذه بالضبط .

ورسم العجوز خطة للحوت ، بدأها بتغيير شكل ابنه ليشبه والد الفتيان الثلاثة ، وذهابه إلى الملجأ ليأخذهم ويعيشوا معه ، ذهب الحوت إلى مدير الملجأ وأخبره أنه والد الفتيان الثلاثة ، فعرفه المدير وحمد الله على سلامته ، فطلب الحوت من المدير أن يمهد له لقاءه بأبنائه ويخبرهم بالقصة قبل أن يدخل عليهم ، اجتمع المدير بالأبناء وقال لهم :

*- : لقد جمعتمكم الليلة لأمر يشبه حكآيات الزمن الغابر .. أمر غريب كل الغرابة .. يجمع في طياته الماضي والحاضر والمستقبل .

ياسين : ما هذا يا سيدي .. هل جمعتنا لتسرد علينا أحجية ؟

قل لنا ما هو الأمر حتى نذهب للنوم فنحن في غاية النعاس .

المدير : لا تكن عجولاً .. أنتم تعلمون أن أباكم قد توفي وأنتم

أطفال صغار ..

محمد : صحيح ، ولكن ما علاقة هذا بالأمر الذي جمعنا لأجله؟!!

ياسين : آه .. إن هذا أشبه بالتقلب على الأشواك .. إنني لا أريد معرفة هذا الأمر .. سوف أذهب للنوم .

محمد : انتظر .. يجب أن تبقى ، لأن الأمر مهم على ما يبدو .

أيها المدير إلى أين تريد أن توصلنا ؟

المدير : إلى أبيك يا محمد .

محمد : أبي .. كيف أصل لرجل في بطون الحيتان ؟!

المدير : إنه ليس كذلك .

ياسين : أسخف نكتة سمعناها في حياتي .. ربما أنه يتسابق مع حوريات البحر .

محمد : أين هو إذن ؟

المدير : إنه حي يرزق .

ياسين : أريد أن أقول لك أن رهبة الموت ليست مجالاً لهذه النكت الباهتة .

المدير : أن أباكم في الخارج ينتظر الإذن مبني بالدخول .. لقد نجنا من الأمواج والعواصف ، لقد تعلق بإحدى أخشاب السفينة ونجا مريضاً على إحدى الجزر ، وعندما شفني جاء اليكم فاقدًا جزءاً كبيراً من ذاكرته .. إنه لا يتذكر إلا القليل .. القليل .. لماذا لا ينفجر حنان الأبوة في داخلكم .. لماذا لا تتشقق أحجار عيونكم ليسيل منها الدمع فرحاً لإسدال الستار على يتمكم؟! يا عبدالله يا أبا محمد .

ويدخل الحوت وهو يشبه أباهم تماماً ، ويقوم بمعانقتهم ويفرح الفتيان الثلاثة كثيراً بلقاء أبيهم ومسك الحوت بأيديهم جميعاً وخاطبهم :

*-: سوف أعوضكم عن سنين الحرمان التي ولت إلى غير رجعة وأضع الآلام بعداً عنكم على مقصلة مشاعر عشقي لكم ، وأدفن في رمال النسيان آهات يتمكم .

ياسين : ووصيتك التي أوصيتنا بها .. حفظ القرآن .. كيف نكون حراساً أمنين له .. كيف نثور على المساس بالصفحات وكيف تدمع العيون لأسر الكلمات وتخشع القلوب على زلزلة الآيات .

الحوت -: سنثور ونبكي ونخشع ونطوف الدنيا معاً للنشر تعاليمه.

يخرجون من الملجأ فرحين مسرورين وهم يغنون معاً .

ستشور لأجل القرآن ...

تنزيل الله الرحمن ..

ولأجل الحفاظ البررة ..

من صاروا خلف القضبان ..

حزب الشيطان الفجار ..

شنقوا الآي بحبل النار ..

ليذوقوا عذاب الفجار ..

وسنقى في كل أذان ..

وسنجمع كل الأعلام ..

من حفظوا آي العلام ..

ونذيب جليد الكلمات ..

بلهيب جلال الفرقان ..

والذكر المنزل سيعود ..

دستوراً للحكم فريد ..

كي يحو أشقى الأزمان ..

ويطهرنا بالإيمان ..

ويأخذهم الحوت إلى قلعة في أعلى جبل في طرف المدينة ، وفي الطريق أخبرهم الحوت أنه نسي مواقع الكنوز ويجب عليهم أن يحفظوا القرآن لكي يتعرفوا على المواقع وبعد أيام من وصولهم إلى القلعة ، أمر الحوت ثلاثة من رجاله يسكنون خارج القلعة بسرقة مصاحف الفتيان الثلاثة ، ثم دفنها بجوار القلعة.

تحت الشجرة الميتة ، وهي شجرة ضخمة معروفة لديهم ، وأخبرهم بتوخي الحذر لأن الفتيان يضعون المصاحف تحت رؤوسهم عند النوم ، فقال له أحد رجاله :

*-: ألا ترى يا سيدي أن سرقة المصاحف لا تجدي نفعاً .. فرمما لا ينسون شيئاً مما حفظوه ويكون جهدنا هباءً منثوراً.

الحوت: سرقة المصاحف لا تسمح لهم بحفظ القرآن ، وهذا يعني أنهم لن يستخرجوا الكنوز التي ستنفق على بناء مجد دينهم الذي يعني هدم مجدنا . أما أنهم لن ينسوا ، فأنتم لا تعلمون ما يعني المصحف بين يدي الحافظ ، غياب الصحف من بين أيديهم هو أول خطوة على طريق النسيان .

وأخبر الحوت الفتیان أنه سوف يغادر القلعة عدة أيام .

وعندما جاء الليل و أسدل ستوره ، والكل خلا إلى فراشه وأغلق جفنيه ينتظر الأحلام الجميلة ، دخل الرجال الثلاثة إلى غرفة الفتیان وحاولوا سرقة المصاحف ولكن الفتیان إستيقظوا وحدث صراع شديد بينهم والفتیان يصرخون ويستجدون بأبيهم ولكن بلا مجيب ومع شدة المقاومة فقد استطاع الرجال الثلاثة سرقة المصاحف ، وهربوا بسرعة ثم دفنوها تحت الشجرة الميتة ، وبقي الفتیان يكون حتى الفجر ، فحضر الحوت بعد علمه أن المصاحف أصبحت تحت الشجرة الميتة ، فأخبر الفتیان الحوت بما حدث ، وقال له محمد بتصميم وعزيمة :

* - : يجب أن نستعيد المصاحف .. فبدونها لن نصبح حفاظاً .

الحوت - : يجب أن نستعيد المصاحف حتى لو متنا من أجل ذلك

فهناك أعداء لنا يحاولون منعكم من حفظ القرآن ، إن سرقة
المصاحف خطوة من طريق ، معركة من حرب .. الخطوة الثانية ربما
تكون اختطافكم أو قتلكم ، يجب أن أحافظ على حياتكم فلن تخرجوا
من القلعة إطلاقاً .

ياسين : هل سنسجن في القلعة لأجل أن نبقي أحياءً .. الموت
خير من ذلك .

الحوت :- هناك مكان واحد آمن به عليكم غير القلعة .

محمد : أين هذا المكان ؟

الحوت:- إنه مدينة الملاهي .

محمد : -مدينة الملاهي .. مدينة بلا دين .

ياسين :- مدينة بلا أخلاق .

طه :- مدينة بلا رجولة .

محمد :- هذه المدينة هي المشنقة التي سيعلق على أعوادها حلمنا
في حفظ القرآن .

الحوت:- أنا لا أقبل منكم الذهاب إلى هناك .. ولكن هذه ضرورات إلى حين إعداد العدة .. وفي النهاية الأمر يرجع لكم .. أنتم أحرار ومن الغد سنبدأ بالتدريب وأول شيء سنتدرب عليه هو السباحة .

وأخذ الحوت يدرهم على السباحة لكي يرى الخارطة التي على صدورهم كل يوم فعندما ينسون جزءاً من القران فسوف تظهر على صدر أحدهم نقطة يعرف منها موقع أحد الكنوز .

ومضت ثلاث شهور والفتيان صامدون ، ولكن بعدها ذهب ياسين وطه إلى مدينة الملاهي للنظر فقط ، واستمرا شهراً يذهبان ولا يقومان بشيء سوى النظر ، وبعد شهر أي في الشهر الرابع تعرفوا على أطفال مدينة الملاهي ، وفي الشهر الخامس أصبحا يلعبان في المدينة كأنهما من أهلها .. والحوت يراقب كل حركة لهما ، وهو مليء بالسرور ؛ لأن خطته تسير في خطها المرسوم .

ولكن محمد لم يقبل الذهاب إلى مدينة الملاهي واستمر بتحذير أخويه .

ولكنهما لم يسمعا له وفي أحد الأيام سمع محمد ياسين يصف مدينة الملاهي بقوله :

*- : إنها مدينة بلا هموم ثقيلة ولا أحلام صعبة المنال .

محمد : مدينة سوف تقتل الغضب الذي أُنجبتَه سرقة المصاحف
ببطء.

لقد أدرك محمد أن الغضب لغياب المصاحف ضروري حتى لا
يتحولوا مثل قطار بلا محرك يقف على السكة متبلداً ينتظر الصداً ، كما أنه
لاحظ أن أخويه لا يراجعون حفظ القرآن وهذا ما زاد من خوفه .

ومضى شهر آخر وبدأ محمد يحس بالسأم فعندما كانت
المصاحف معه كان لا يعرف السأم .. شغله حفظ القرآن لتحقيق حلم
يصبو إليه ، . وفي غياب المصحف أصبح السأم له صديقاً ثقيل الظل .

ومضت ثلاثة شهور أخرى فازداد تعلق ياسين وطه بمدينة الملاهي
ونسيا الجزء الأول من القرآن ، ونسيا أن لهما مصاحف مسروقة لا بد أن
ترجع إليهما ، وبعد مضي هذه الشهور بدأ محمد بالذهاب الى المدينة
للنظر فقط فحدث معه مثل ما حدث مع أخويه ، ولكن كانت المدة
أطول ، ونسي هو الجزء الأول من القرآن إلا أنه لم ينسَ أبداً أن له
مصحفاً مسروقاً لا بد أن يرجع مهما طال الزمن .

وعندما خلع الفتیان ملابسهم ليمارسوا السباحة رأى الحوت على
صدر ياسين نقطة يظهر فيها مكان الكنز ، فصرخ الحوت بأعلى صوته
فرحاً.

*- :ها هو الكنز .. لقد رأيتهُ .. لقد رأيتهُ .

محمد : هل قلت أنك رأيت موقع الكنز .. أنت .. أنت لست
أبي .. أنت لا يمكن أن تكون أبي .

ينزع الحوت القناع ويظهر بشكله الحقيقي فيصعق الفتيان ولا
يستطيعون الكلام من شدة الصدمة وغيوبهم تحملق في الحوت ، فقد كان
الحوت ممثلاً بارعاً ، لقد نسي الفتيان الثلاثة جزءاً من القرآن بمكره
ومؤامراته ولكنهم أيضاً لم يحافظوا على وصية أبيهم هل نلومهم على
تفريطهم ؟ ولكن هل تلام الأغنام على نقص اللحم واللبن ما دام الراعي
ذنباً ؟ كيف تثمر الأشجار وهي في كل يوم تكسر .

كيف يلام الفارس على الهزيمة وهو ذاهب إلى المعركة مقيداً
بأغلال القائد .. إنهم ضحية وهم في نفس الوقت قد قصرُوا وفرطوا .

وبقي الفتيان يحملون بالحوت وهو يتسهم مسروراً فخطبهم :

*-: في الأمس .. حاربتكم من وراء ستار ، أما اليوم فحربي
على مرأى ومسمع منكم .. ومع هذا سأكون كريماً معكم .. ستكون
هذه القلعة سجنكم .. سجن واسع أليس كذلك .. وأسمح لكم بالتنزه
في مدينة الملاهي ولكن تحت حراب حرسى .

ومضت الأيام والفتيان في القلعة وهم يقاومون نسيان جزء آخر
من القرآن وعندما يأتي الليل يصعدون على القلعة وينشدون معاً.

ضمننا السجن لكي نشرب كأس الذل قهراً ..

وضربنا بصورف العنف والترهيب غدرًا ..

تقف الألفاظ في حيرتها غرقى بوحل ..

حينما يطعن أهل البغي هذا البدر مكرًا ..

اغفر اللهم زلات خطانا كل آن ..

إذ نسينا الآي سرنا في سراب وافتتان ..

بلعنا هذه الدنيا عقولاً وقلوباً ..

لوث العزة بالإسلام سم الأفعوان ..

نحن أحرار ولن نبقي مطايا للأعداء ..

ننشر القرآن والإيمان في كل البلاد ..

صرخة التكبير في أفواهنا في كل ناد ..

نقرأ التوبة والأنفال في ركب الجهاد ..

استخرج الحوت الكنز وأصبح الحوت أغنى أهل الأرض ، فعلم سلطان قوي بقصة الكنز الذي حصل عليه الحوت ، فقرر السلطان محاربة الحوت والحصول على الفتيان الأيتام وسار السلطان بجيشه وحاصر القلعة وأدرك الحوت أنه لا يستطيع المقاومة كثيراً فقرر مغادرة القلعة مع الفتيان ولكن الفتيان قاوموا الذهاب معه فحاول إقناعهم أن مصلحتهم في الذهاب معه وقال لهم :

*- يوجد نفق في أسفل القلعة بجانب خزان المياه لا يعرفه غيري، كما أعدكم بإرجاع المصاحف لكم فهي مدفونة تحت الشجرة الميتة خارج القلعة .

تردد الفتیان فهم لا یثقون بالحوٲ إطلاقاً ولكنهم فی نفس الوقت خائفون من السلطان الذی جاء لینیسهم کل ما حفظوه والحصول علی الكنوز ، فقال لهم محمد :

*- الأفضل لنا أن نذهب مع الحوت فشیخص نستطیع أن نقاومه خیر لنا من سلطان قوی لا قدرة لنا علی مقاومتهسنذهب معك .

وعندما ساروا عدة خطوات دخل جنود السلطان القلعة فقتلوا الحوت وکل من فیها سوى الفتیان ، وسجن السلطان الفتیان وأصبح کل یوم یعذبهم حتی ینسوا جزءاً آخر من القرآن ، ولكن دون جدوی بقی الفتیان یقاومون نسیان آیات القرآن الکریم فأشار بعض قادة الجند علی السلطان أن یتبع نفس خطة الحوت وقال :

*- یا سیدی إن سجنهم وتعذیبهم یجعلهم یتمسکون بالحفظ أكثر فعلینا أن نتبع خطة الحوت بأن نجعلهم یعیشون فی القلعة بین الجنود ونسمح لهم بالذهاب إلى مدینة الملاهی .

وافق السلطان علی ذلك وعاش الفتیان کما كانوا یعیشون مع الحوت وأصبحوا یذهبون إلى مدینة الملاهی ویلعبون مع الجمیع دون أن ینسوا شیئاً مما حفظوه ودون أن ینسوا أن لهم مصاحفاً لا بد أن ترجع إلیهم . وفی لیلة کان السلطان یحتفل هو وجنده علی سطح القلعة ، غادر

الفتيان عن طريق النفق الذي أخبرهم به الحوت وذهبوا إلى الشجرة الميتة واستخرجوا مصاحفهم وغادروا إلى مكان لا يعرفهم فيه أحد ، وتنكروا وغيروا من أشكالهم ، فقد استفادوا من تجربتهم مع الحوت وكيف غير شكله ، وبقوا متخفين حتى حفظوا القرآن كاملاً واستخرجوا الكنوز وجمعوا كل الحفاظ ليكونوا حرساً للمصاحف والكنوز .

وزحف الحفاظ إلى القلعة ودخلوها بعد أن أخرجوا السلطان الظالم منها ، واستثمروا الكنوز وجعلوها وقفاً لحفظ القرآن ونشر تعاليم الإسلام وكان يرددون دائماً ما قاله لهم أبوهم :

أتدرون لماذا الحفظ ، فالحفظ يبني الحب والمودة للآيات

النهاية

